

الشارع الشهير!

اقتحم صمتَ تأملي جدلُ صاحبٍ انفجرَ في دائرة سمعي فجأة!
اجتمع لركاب الحافلة تركيزهم، وانسحب كلُّ منهم عن خصوصية تأمله
إلى موضوعٍ أدلى كلُّ فيه بدلوه!

لم أستطع أن أتبين بداية الخيط من نهايته، فقد بدا لي حديثٌ مرتبكٌ
متداخلٌ... التقطتُ سؤالاً تكرر مرة بعد مرة على لسان سائلٍ يلحاح ذبابة:
- فين شارع "عباس العقاد"؟ عايز أنزل شارع "عباس العقاد"،

مش الأتوبيس رايح هناك برضه؟!

سؤال عادي طُرح على لسان شخصٍ عاديٍّ... سؤال عن شارع

شهير!

لم يحرك الأمر ما ركذ من اهتمامي بشيءٍ، فمن ذا الذي لا يعرف

الشارع، وكذلك الأديب الكبير، فمن يجله؟!

والعجيب أن توجيه اللوم إلى السائل كان أسبق من الإجابة عن

سؤاله! كيف به يجله وهو من هو؟!

عجبت أن صاحب الإجابة كان يقصد الشارع لا الشخص! بدا ذلك واضحًا في وصف معالم المكان بدقة، وتخبّطه في وصف الشخصية التي أكدت أقواله في حقه الجهل التام به!

- يطلع مين (عباس العقاد) ده اللي مش عاجبك كلامنا عنه؟!
 قذف بها أحدهم في وجهي، وهو يراقب بتأففٍ ملامح الاستنكار التي ارتسمت على وجهي!
 أجاب آخر:

- أنا طول عمري بروح وباجي على الطريق ده، طول عمري أعرف الشارع ده كويس، يا عم ده اسم شارع مش اسم بني آدم، هو لازم تفلسفوا كل حاجة وتعملوا لها خمسين سبب! ده شارع وخلاص، هو لازم يكون على اسم حد يعني؟!
 وأخيرًا خرج من الجمع رجلٌ وقف في صفي، ووجّه إلى جمعهم حديثه باجترأ:

- الله يلعن الجهل اللي موديكم في داهية ده! فيه حد ما يعرفش الأستاذ العقاد يا جهلة؟!!

ثم أردف سؤاله بسؤال آخر وجهه إليّ مباشرةً، بعد لحظة من التأمل:

- بس... تفتكر يا أستاذ ليه سموا الراجل على اسم الشارع ده؟!!

أكيد كان عايش فيه، أو على الأقل اتولد فيه!

وأذتُ ضحكةً ساخرةً في مهدها، فاكتفيت بالإشارة العصبية التي

تولّدت في مخي بعد أن قطعت عليها طريقها وحبستها، فالموضع ليس

موضع ضحكة، ولو كانت ساخرة!

وتعرفت في نظرات من حولي وقرأتُ على شفاههم كلّ معاني

السخرية التي حُرّرت من عقالها تجاهي، فصمتُ عاجزاً عن الردّ.

اجترتُ أفكارِي، وأنا أتابع حديثهم، وابتلعت صمتي شاردًا،

وهزني بعنف تساؤلُ:

- حقيقة، من منها طغى على شهرة الآخر الشارع أم صاحبه الذي

وُضع اسمه عليه؟! من منها الأعلى يدًا، والأكثر شهرة رجلٌ أم مكانٌ؟!!

سكّنت نفسي بعض الشيء وأنا أنظر للأمر من زاوية أخرى:

"ربما يستقيم الأمرُ العجيب لو نظرنا إلى الأماكن بقيمتها؛ فهي

الوطن، ومحل الميلاد، ومسقط الرأس، ومسار الحياة!

لكن ما أظلم الناس حين ينكرون سعيك، أو ينسوه!

لو كان (العقاد) حيًّا بيننا تُرى ما سيكون ردُّ فعله!

الرجل الذي حارب الجهل في عقول الناس، مع الأسف اندثر في
عقول قطاع كبير من الناس!"

جميعها أفكارٌ دارت برأسي كما دارت عجلات الحافلة طويلاً حتى
توقفت بمحطتها الأخيرة بموقف "شبرا"، لا بمدينة نصر!!
ولا يزال الرجل يسأل:

- حد يعرف إزاي أروح شارع "عباس العقاد" يا اخونا؟!
